# ٥

# الثقافة العربية

**الحضارة عالمية ، والثقافة محلية .**

لأن الحضارة عالمية ، وإن بدأت فى الغرب ( أوروبا وأمريكا ) ، فإن عناصرها عالمية تشترك فيها البشرية جميعًا ، وتسهم بها مجتمعات كثيرة فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب . ولغة الحضارة كذلك لغة عالمية ، فأسلوب التقنية واستعمال الحاسب الالكترونى ( الكمبيوتر ) وإدارة الإنسان الآلى ( الروبوت ) وصنع وإصلاح الآلات الالكترونية ، وإنتاج السيارات بأنواعها ، وكل ما يتصل بنتاج الحضارة ، واحد فى مضمونه بحيث يمكن لليابانى أن يتعامل مع تلك الأشياء جميعًا ، بما تعلمه فى اليابان ، حين يكون فى الولايات المتحدة ؛ كما يمكن للألمانى أن يتعامل معها وهو فى الهند أو فى الصين .. وهكذا ؛ أصبحت لغة التقنية وشفرة الحضارة واحدة ؛ متى ما عرفها فرد استطاع التعامل بها فى أى مكان من المعمورة ؛ وحين ما تستوعبها أمة فقد ملكت أهم وسيلة من وسائل الاتصال الحضارى والإسهام التقنى والإنتاج العلمى .

أما الثقافة فهى محلية ، فلكل أمة ثقافتها ، بل أحيانًا ما يكون لكل جماعة من أمة معينة ثقافة خاصة بهم ، تميزهم عن غيرهم . ويعرفها فيهم الجميع . وعلى ماسلف فإنه توجد ثقافة أمريكية ، وثقافة فرنسية ، وثقافة صينية ، وثقافة عربية .. وهكذا .

الثقافة العربية هى ، فى الأصل ، ثقافة العرب ( العاربة والمستعربة ) التى كانت تقيم فى شبه الجزيرة العربية ، دخل عليها الإسلام فقصد إلى تغيير بعض عناصرها ، ثم اختلطت به هذه الثقافة وانتشرت من خلاله إلى بلاد الشرق الأوسط التى غيّرت لسانها إلى العربية ، مثل مصر وبلاد الشام ( سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ) والسودان وبلاد المغرب العربى ( ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ) فأصبحت لكل هذه المنطقة ثقافة عامة تقوم على اللغة العربية والآداب العربية أساسًا ، وتستوى على العادات والتقاليد والمفاهيم والمسالك والطباع والأخلاقيات والعوائد التى كانت من خصائص شبه الجزيرة العربية ثم تداخلت مع الإسلام وامتزجت به فلم يستطع الكثير أن يفرق بين ما هو من الإسلام وما هو من المجتمع ، سواء قبل الإسلام أو بعده . وإلى جانب ذلك ، فلكل شعب فى مجال الثقافة العربية عناصر خاصة به تمتزج بها ، فتميز الثقافة هذا الشعب عن غيره من الشعوب العربية . ففى مصر عناصر تاريخية كثيرة ، منذ عهد الفراعنة ، تختلط بثقافة المصريين العربية العامة فتوجد صيغة مصرية خاصة . وفى العراق صيغة خاصة تتضمن عناصر بابلية وأشورية ، وفى الشام صيغة معينة تظهر فيها عناصر فينيقية ؛ وفى بلاد المغرب العربى صيغة واضحة تبين فيها ملامح بربرية ( من ثقافات البربر ) .

ما يعنى فى هذا المجال هو تركيز الرؤية على الثقافة العربية العامة ، دون الصيغ المتعددة التى تنطوى عليها وتتكون منها . والملاحظ أن كل أمة تفخر بثقافتها باعتبار أن هذه الثقافة تمثل ميراثها البشرى ، وخصائصها الذاتية ، وتحتوى على تراثها الشعبى ( الفولكلور ) . لكن فى ميزان النقد ولدى معيار التقويم فإنه لا ينبغى التركيز على الإيجابيات والمميزات ، لأن

فى ذلك انتهاج لمسالك تمجيدية أو افتخارية ، قد يحجب الرؤية السليمة ويدير الرءوس بنشوة العصبية .

فى الثقافة العربية عناصر إيجابية ومزايا معروفة ، غير أن ترديدها فى هذا المجال يخرج عن القصد ويبعد عن الهدف الذى يرمى إلى تحديد السلبيات الرئيسية ، والتى تعتبر عوائق تعرقل الجهود العربية فى معركة الصراع الحضارى مع إسرائيل ، والنقد الذاتى الصادق هو أول خطوات الوعى السليم والسير المتزن الثابت فى الطريق إلى النجاح .

● أول سلبيات الثقافة العربية التى ينبغى إعادة تقويمها ، فكرة المسئولية الشخصية عن العمل . ففى التراث الأدبى العربى القديم – فضلاً عن التراث الشعبى ( الفولكلور ) – أفكار بُدائية خاطئة عن فكرة المسئولية الشخصية ، استقرت لدى العرب الأوائل ، ولم يتنبه الفكر الإسلامى إلى تغييرها ، فانتشرت إلى العرب جميعا ، وهم يسقطون عليها أوصافًا إسلامية ويسبغون عليها أردية شرعية ، حتى ساد الاعتقاد بأنها أفكار إسلامية معنى ومبنى .

فى الشعر الجاهلى كثير من الأمثلة عن ذلك ، نجتزئ منها ما يلى :

يقول الشاعر الجاهلى طرفة :

لتنقبنّ عنـى المنيـة إ ن الله ليس لحكمه حكم

ويقول الشاعر الجاهلى لبيد :

إن تقوى ربنـا خير نفـل وبإذن الله ريثى وعجل
أحمـد الله ، فـلا ندّ لـه بيديـه الخير ما شاء فعل
من هـداه سبل الخير اهتدى ناعـم البال ومن شاء أضل

ويقول الشاعر الجاهلى عنترة العبسى :

إذا كان أمر الله أمرًا يقدّر فكيف يفر المرء منه ويحذر

ويقول الشاعر الجاهلى عدى بن زيد :

وإن أُظلـم فقد عاقبتمونى وإن أُظلم فذلك من نصيبى

هذه جملة من الأبيات الشعرية تصدر عن التراث الشعبى ( الفولكلور ) السائد وقت قولها ، ثم تنعكس على هذا التراث فتوطده وترسخه ، ويصبح أسلوبًا كاملاً للحياة والتصرف ، حيث يرى الناس أن « الحاكمية لله » ، بذات المعنى الذى تعتنقه ، وتردد جماعات الإسلام السياسى ، كما يعتقدون أن الله يفعل ما يشاء ، فهو يهدى وهو يضل ، وأنه لا مفر من قضاء الله وقدره ، ولا سبيل للحذر منه ، فما يحدث للمرء نصيب ، أو كما يقال فى التعبير الدارج « قسمة ونصيب » أى أمرا قُسم له وفرض عليه .

فى مثل هذا الموروث الاعتقادى لا يكون هناك سبب لعمل الفرد ، وما جدوى العمل إن كان العمل لا يمنع مكروهًا ولا يجلب محبوبًا ! ؟ ولِمَ يعمد الإنسان لإصلاح ذاته إن كانت الهداية والضلالة من الله ، أراد الإنسان أم لم يرد ؟ إن الإنسان بهذا الاعتقاد لا يعمل شيئًا ، ولا ينتهج نظامًا أخلاقيا ، ولا يرتب أىّ أمر من أمور حياته ، ولا يتحوط من الخطأ ، ولا يتجنب العناصر السلبية التى قد تودى به إلى المهالك .

عارض القرآن هذا الاتجاه الاعتقادى الخاطئ ، فدعا إلى العمل ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا﴾ سورة فصلت ٣٣ : ٤١ ، ﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم﴾ سورة يس ٣٦ : ٣٥ ، وأكد أن الجزاء يكون على العمل خيرًا بخير وشرًّا بشر ﴿ وما تجزون إلا ما كنتم

تعملون﴾ سورة الصافات ٣٧ : ٣٩ ، ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾ سورة الزلزلة ٩٩ : ٧ – ٨ ، فمن روح القرآن ، وصميم أحكامه ، أن عمل الإنسان أساسى ، وأن حكم الله الذى يعلو كل حكم لا يغنى الإنسان عن العمل ولا يمنع الفرد من المساءلة ، وأن مشيئة الله تلى ( فى الحكم لا فى التتابع الزمنى ) مشيئة الإنسان ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ ، وأن الله يهدى من عمل جادا كى يصل إلى الهداية ويضل من عمل قصدا حتى يرزخ فى الضلالة ، وأن النظام الأخلاقى ضرورة لامعدى عنها ولا مفر منها ، وهى الأساس فى وضع الإنسان فى الدنيا وفى حسابه وحياته فى الآخرة .

وعلى الرغم من هذا المفهوم القرآن الواضح فإن الثقافة العربية استكنّت فى المفهوم الجاهلى واسترخت فى المعنى البُدائى ، الذى يوطئ إلى الكسل العقلى والترهل النفسى واللامبالاة فى كل شىء ، فصار الفرد العربى – على الأغلب – لا يربط بين أفعاله ونتائجها ، ولا يرسم أو يخطط لأى عمل من أعماله ، ولا يستوعب فكرة المستقبلية .

فهو يعمل بعفوية وعشوائية دون أن يدخل فى تقديره النتائج المتوقعة والمحتملة لعمله ، وعلى سبيل المثال ، فقد يقود سيارة دون كوابح ( فرامل ) سليمة ، وبغير صيانة دقيقة ، فإن نبهه أحد إلى ذلك ألقى المسئولية على جانب الله فيقول « ربنا يسترها » ، أو ما فى هذا المعنى . وهو يعلن الحرب أو يقتحم المعارك دون إعداد كاف وبغير دراسة وافية وبلا أسلحة مناسبة ، فإن وجّهه شخص إلى هذا ، وضع المسئولية على كاهل القدرة وردد أن النّصر من عند الله ، مع أن نصر الله مشروط بالعمل الصحيح والاستعداد

الكامل ، فإن حدث بعد ذلك أن ارتكب قائد السيارة حادثًا لم تسعفه الكابحة ( الفرامل ) فى منعه ، لم يعترف بخطئه وإنما ردد ما يفيد أن ذلك أمر الله ، قدر ومكتوب لم يكن منه مفر ؛ وإن أدت الحرب المرتجلة إلى هزيمة ، لم يقر القائد بخطئه ، وإنما قيل إن الهزيمة قدر مكتوب ونصيب مقرر ، لم تكن منه أىّ نجاة ؛ ولو حدث أن ضبط شخص وعلى يديه دماء الجريمة ، قاتلاً أو سارقًا أو تاجر مخدرات فإنه لا يعترف بجريمته ، صراحة وبوضوح ، وإنما يقول إنها – أى الجريمة – دفعة ( وَزَّة ) شيطان ؛ وكأنها لم تصدر عنه هو .

هذا فهم جاهلى ، يجعل من الإنسان كتلة صماء ، ومن القدر ضربًا صارمًا لا يتغير ولا يتبدل ، وهو نفس الفكرة عن القدر الإغريقى كما يبدو فى المآسى ( التراجيديا ) مثل مسرحية أوديب وأنتيجون ، والأساطير الإغريقية كأسطورة سيزيف وبروميثوس وغيرها ، وهو مفهوم يخالف المفهوم الإسلامى الذى جاء فى القرآن ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ سورة الرعد ١٣ : ٣٩ .

مادام الشخص العربى – على الأكثر – لا يفكر فى عمله ولا يقدر نتائجه فإن مؤدى ذلك ألا يرسم عنه خطة أو يضع له تصورًا ، ولو كمشروع محتمل ، قابل للتغيير والتبديل ، ما جدّت عوامل تقتضى ذلك أو دخلت عناصر توجبه . وبهذه الارتجالية ، يفتقد الشخص أى إدراك عن المستقبلية ؛ فهو يعيش لحظة بلحظة ، والمستقبل غيب بعيد ، يعتبر أى تنظيم له تدخل فى إرادة الله كما يعد أى ترتيب له اعتراض على المشيئة الإلهية ، يقال فى التعبير الدارج إنها « مقاطعة » وأن على الشخص ألا « يقاطع » فيحاول

تدبير أُموره إلى مستقبل بعيد أو يحاول تقدير أعماله فى نتائجها غير القريبة ، ويطلب من الشخص الذى يفعل ذلك ألا « يُقاطع » ( ما تقاطعشى باللهجة المصرية الدارجة ) لأن فى هذه المقاطعة فألاً غير حسن ، وربما كان نذير سوء .

هذا العنصر من عناصر الثقافة العربية أهم عنصر على الإطلاق ، وهو العنصر الذى ينبغى الالتفات إليه وإعادة تقويمه وتصحيحه ، من واقع الثقافة العربية وبتعديل هذه الثقافة ، لأنه – بصورته الحالية – والتى استدامت مع هذه الثقافة منذ العهد الجاهلى – مانع كبير من أى استيعاب حضارى وأى تقدم علمى ، مادام أنّ أساس الحضارة وصميم العلم يقوم على التخطيط والتنظيم الذى يتضمن كافة الاحتمالات ، ويمتد إلى عقود طويلة فى المستقبل ، ويستوى على تحديد المساءلة الشخصية ، ويستقيم على تشجيع المبادرة الفردية ، ويقتضى فصل الإنسان عن الخرافات الخاطئة التى تعتبر الفرد كتلة صماء ، كُتب عليها ما تفعل ، بحيث لا تفعل شيئًا إلا أن يكون نتيجة قدر صارم مكتوب عليها ، أو يكون أثرًا لدفعة ( وَزّة ) من شيطان شاطر .

إنه ما لم يتوارى هذا الفهم الخرافى من الثقافة العربية فالصراع الحضارى محسوم سلفًا لصالح الغير .

● وثانى سلبيات الثقافة العربية هو ماجبلت عليه من المكافأة بين القول والعمل ، والاستعاضة عن أى عمل جدى بالكلام الإنشائى المتكرر عنه .

وفى كتابنا « حصاد العقل » ( المنشور سنة ١٩٧٣ ) التفتنا إلى هذا العنصر من عناصر الثقافة العربية وقلنا إن الشخصية العربية تكافئ ( أى

تساوى ) بين القول والفعل وأنها « تقول مالا تفعل ثم تستمر فى القول حتى يخيل إليها أنها تقدر على فعل ما تقول أو أنها فعلته ، وهو ما يوجد لديها تكافؤ بين القول والفعل ، فما تقوله قد وقع فعلاً أو سوف يقع ( على نحو ما قالته ) ، بصرف النظر عن الحقيقة فى ذلك وعن قدراتها الطبيعية وحدود هذه القدرة على أداء العمل » . ثم أضفنا « إن عقلية تكافئ بين القول والفعل لهى عقلية ماتزال تحيا فى خيالات الطفولة وأحلام اليقظة ، بعيدة من الواقع هائمة فى الخيال ، تجنح إلى تصوراتها الشخصية لتعوض بها قصورًا ونقصًا يذلها ، ولابد لهذه العقلية من أن تقف على أرض الواقع ، وأن تدرك الفارق بينه وبين الخيال ، بين الفعل والقول ، بين الرغبة والتحقيق ، بين الأمانى والعمل ، فتسعى لكى ترفع من مستوى كفايتها الفعلية إلى مستوى خيالها أو أن تقف بخيالها عند الحد اللازم لتحريك قدرتها ، ولاتزيد » .

وهذا الذى كتب منذ ربع قرن تقريبا لم يزل صالحًا للترديد اليوم ، مما يدل على أن الثقافة العربية تتنكب الطريق السليم تمامًا ، ولا تنى عن اللَّف حول نفسها والدوران حول أقوالها ، دون أن تحقق إنجازا جادا أو تنتهى إلى أعمال نافذة .

وقد عبر مثقف عربى عن هذا المنحى من الثقافة العربية تعبيرًا بليغًا فقال « إن العرب ظاهرة صوتية » ، فالعرب فى هذا المفهوم ، يتكلمون ويتكلمون ثم يهدأ بالهم ويسكن حالهم ، وقد ظنوا أنهم ماداموا قد تكلموا فقد عملوا ، ومادام الكلام قد تكثّر وتأكد فقد وقع بالفعل ، وكما قالوا تمامًا . وقبل حرب ١٩٦٧ كثر الكلام عن الحرب ، وعن أن جيش إسرائيل جيش عاهرات ، وأن العرب سوف يلقون بإسرائيل فى عُرض

البحر ، ونتيجة للثقافة التى تكافئ بين القول والفعْل ، فقد اعتقد كل العرب – إلا قليلا – أنه ما إن تنشب الحرب حتى تنهزم إسرائيل تمامًا ، وأن الجيوش العربية سوف تشرب الشاى فى تل أبيب عصر يوم ٥ يونيو ، ثم فوجئ الجميع بهزيمة ساحقة أعادت رسم خريطة الشرق الأوسط من النواحى السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتاريخية ، والجغرافية ، لآماد طويلة ، ذلك لأن العرب انسحروا بالظاهرة الصوتية بينما كان الإسرائيليون لا يتكلمون عن الحرب أبدًا ، وإنما يعملون لها فى هدوء ومثابرة إلى أن استدرجوا العرب ، من خلال أصواتهم الظاهرة وأحلامهم الواهمة ، إلى حرب حققوا هم فيها نصرًا كبيرًا .

وينبنى على أن العرب ظاهرة صوتية أن ثقافتهم تتأثر كثيرا بالألفاظ فهى من ثم ثقافة لفظية ، تنفعل بالألفاظ الفخمة والكلمات الضخمة والعبارات المسجوعة والمقولات الموضوعة ، ويتشتت الانتباه فى الإيقاع اللفظى والتنغيم القولى ، حتى لا يعى السامع ما يقال ولا يفهم صميم معناه ، وعندما يشاهد ملاحظ عددًا ، ممن يقال إنهم متعلمون أو يظن إنهم مثقفون ، يتمايلون فى نشوة ويكبّرون فى حماس ، وهم يستمعون إلى ترتيل ، ثم يسألهم عما فهموه ، فهو فى الغالب لن يجد إجابة ، لأنهم انتشوا للنغم الموسيقى وكبّروا للحن الغنائى دون أىّ استيعاب للمعنى .

إن الثقافة اللفظية والظاهرة الصوتية من الموانع الكبرى والحوائل العظمى التى تعرقل خطى العرب فى تجاوز أى تحد حضارى ، ذلك بأن الصراع الحضارى لا يحسم بالخطب الرنّانة من فوق المنابر ، ولا بالأقاويل المهيجة من الشرفات ، لكنه يحسم فى المعامل وقاعات البحث ومجالس العلم ، حيث الهدوء والتعقل والحديث الهامس ، هذا فضلاً عن أن اللغة الفعالة فى الصراع الحضارى هى لغة المعادلات المحددة ، والدّالات الواضحة ،

والعبارات المدروسة ، والمفاهيم العلمية ، والحوارات العقلانية ، والمقولات اللاإنشائية .

وما لم تتلاشى أوهام المكافأة بين القول والفعل ، واعتبار الكلام بديلاً عن العمل ، والتعلق بالثقافة اللفظية والتشدق بالظاهرة الصوتية ، فإن موقف العرب فى الصراع الحضارى سوف يكون مضادًا لمصالحهم ، يضر كثيرا ولا يفيد إلا خصومهم فى المعركة . ذلك أنه فى الصراع الحضارى كما فى الحروب ، فإن كل طرف لا يكسب بما لديه من إيجابيات وإنما – كذلك – بما عند خصمه من سلبيات .

● وثالث العناصر التى تؤخر الثقافة العربية عن النزال المتكافئ فى الصراع الحضارى بين العرب وإسرائيل ، هو الافتقار إلى القدرة على التسوية أو الوصول إلى الحلول الوسطى فيما يقال عنه بالإنجليزية Compromise . فالثقافة الجاهلية ، التى اخترقت الثقافة العربية وغلبت عليها ، ثقافة متطرفة ، لا تميل إلى الاعتدال ولا تعرف التوازن ولا تقدر على الحل الوسط .

فالشاعر الجاهلى يقول :

ونحـن أنـاس لا توسط عندنا  لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وعلى الرغم من أن هذا المعنى يتعارض مع مبدأ الوسطية فى الإسلام ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ سورة البقرة ٢ : ١٤٣ ، فإنه ، لظروف تاريخية متعددة ، هو الذى ساد وغلب وصار المحور واللب فى الثقافة العربية ، فإذا بها – فى غالب الأحوال – تتطرف فى القول والفعل والتصرف ، لا ترتضى غير الصدر أو القبر ، ولا تعرف إلا اليمين أو اليسار ، ولا تشاهد إلا الأسود والأبيض ؛ فى حين أن الظروف الدولية

بل والعناصر المحلية والأوضاع الشخصية ، لم تعد تقبل ذلك ، أو تسمح به . فأمام كل إرادة ، ولو كانت إرادة أقوى رئيس فى العالم ، إرادات أخرى وقوى غير قواه ورغبات قد تعارض رغباته ، مما يفرض عليه أن يجامل فى قوله وأن يعدّل فى تصرفه وأن يطامن من كبريائه . وثم مثل إنجليزى يمكن ترجمته إلى أن « الأسنان لصلابتها تزول ، واللسان للينه يبقى » ، فإلى جانب التكيّف الطبيعى الذى هو ضرورة حتمية وقانون حيوى فى نظام النشوء والارتقاء الطبيعى ، فإن التكيف الاجتماعى ضرورة حتمية ، وقانون حيوى فى نظام التقدم الاجتماعى وفى حل أى صراع حضارى ، وكما اندثرت الديناصورات – رغم ضخامتها وقوتها – لأنها لم تستطع التكيف مع الظروف الطبيعية المستجدة ، فإن أى أمة قد تتحلل اجتماعيا وتندثر معنويا ، مهما كان عددها ، أو كان موضعها أو كان تاريخها ، إذا لم تستطع التكيف مع الظروف الاجتماعية والدولية المستحدثة . وأول حرف فى لغة التكيف هو نبذ التطرف ، ماديًا كان أم معنويًا ، وزرْع التوسط فى القول والفعل والتصرف ، فى الأمة كلها ، وفى كل فرد من أفرادها ، بل وفى ثقافتها عمومًا .

يفرز التطرف دائما ثقافة العنف والإرهاب ، ويعرض عن ثقافة المحبة والسلام . فلدى التطرف يصبح أى خلاف ( ولو فى الرأى ) خصومة ، والخصومة عداوة ، والعداوة حربًا ، والحرب لا تنتهى إلا بإعدام أحد الجانبين أو إعدامها معًا . وهكذا ، فى التطرف ، تترعرع وتزدهر ثقافة العنف والإرهاب والحرب والثأر والكراهية والحقد ، لا على المستوى الدولى فحسب ، بل وعلى المستوى الوطنى كذلك . فداخل الوطن ذاته ، وضمن الأمة نفسها ، لا يكون ثمّ تنافس شريف أو تناضل محترم أو تصارع متوازن

أو تبارز كريم ، ولا حتى تعاون مهذب أو تجادل مؤدب أو تناقش مقنّن ، وإنما تغلب النزعة العدوانية دائمًا ويسود اتجاه لاختزال الغير واستئصال الخصم ، حتى فى المعارك الأدبية أو السجالات الفكرية أو المداولات العادية .

ثقافة العنف والإرهاب ، ثقافة العدوان والإعدام ، هى النتاج الطبيعى للتطرف ، والثمار العادية للتصرف الذى لا يعرف خيارًا بين الصدر والقبر ، ولا يقبل أى توسط أو يرتضى أى تنازل أو يفسح فى كيانه مكانًا للحب ومجالاً للسلام .

الحروب الحديثة لا تقتصر على المعارك الحربية والصراعات العسكرية ، بل إنه يمكن القول إن هذه الحروب تعمل على تجنب ساحات المعارك الحربية ، وتجاوز أوضاع الصراعات العسكرية ، ليكون لها مجال آخر تعمد فيه إلى اختراق الجبهة الداخلية أو اختلاس الأسرار التقنية أو انتزاع المعادلات العلمية ، وهى بهذا المعنى لا تقوم بين أعداء ظاهرى العداء ، بل وبين أصدقاء واضحى المودة . ومن هنا تداولت الأخبار أحداث تجسس تقنى وعلمى من إسرائيل على الولايات المتحدة ، ومن اليابان على الولايات المتحدة أيضًا ، ومن بريطانيا على الروسيا ، ومن الروسيا على ألمانيا ، وهكذا .

وإلى جانب هذا السلاح يوجد سلاح آخر ، هو ما ظهر فى قضايا التجسس على مصر ، وما قلنا عنه فى حكم قضائى مشهور إنه « الجاسوسية الاجتماعية » ، أى تلك الجاسوسية التى تعمل ضمن المجتمع ، يهدف بها أى طرف فى الصراع الحضارى ، أن يضعف هذا المجتمع أو يوهن قواه أو يبدد طاقاته أو يشتت قدراته . ومما يساعد فى هذا العمل أن يدرس الخصم

ما يدعو خصمه إلى الإصرار على أخطائه أو الافتخار بسوءاته أو الالتصاق بسلبياته . وفى هذا المضمار قد يمتدح شخص أو أشخاص ، جاهلين أو مدفوعين ، عناصر ضارة فى الثقافة العربية ، فيقع العرب فى الشرك ، ظانين أن المادح دائمًا صديق وأن القادح بالضرورة عدو ؛ مع أن ذلك ليس صحيحًا على إطلاقه ، وفى التراث العربى ذاته مثل يقول « رحم الله من أهدى لى عيوبى » . ونتيجة لتخفّى الذئب فى ثياب الحمل ، وتناوم الثعلب نوم القط ، فإنه ينبغى على العرب أن يكونوا على يقظة شديدة ووعى فائق وتنبه زائد ، كيما يفلحوا فى الاستجابة للتحدى الحضارى الذى يستفزهم ويهددهم بالفناء المادى والمعنوى طويلاً طويلاً .